شهادة من قلب الانتفاضة بمدينة الناضور

"بدأت الانتفاضة على الساعة الثامنة من صباح يوم الخميس ١٩ يناير ١٩٨٤، حيث تدخل البوليس و"القوات المساعدة" لتفريق المتظاهرين. وصباح هذا اليوم قتلت فتاة طالبة في ريعان شبابها وذلك بعد أن رمى بها البوليس من سيارتهم "لاندروفر".

وقد انضمت الى المظاهرة فئات واسعة من الشعب الكادح ابتداء من الساعة الثالثة لتحتوى أكثر من ثلاثة آلاف مواطن من طلبة وعمال وفلاحين وعاطلين. واتجه غضب الشعب أولا نحو الابناك كرمز لادخار أموال البورجوازيين، ثم الى مخازن الاحتكاريين التي أخرجت منها المواد الاساسية كالسكر والدقيق والزيت، التي وزعتكلها مجانا. ثم الى قصر البلدية الذى استولى عليه المتظاهرون واحتلوه ساعات كاملة. كما استولوا على بعض الاسلحة الموجودة فيه، وكان ذلك على الساعة الرابعة مساء. آنذاك أعطي الامر بالقتل، وبدأت طائرات الهيلوكبتير تحلق فوق المتظاهرين، كما وصلت الى عين المكان طائرتان عسكريتان محملتان بألف جندى مسلح. وأعطي الامر للجنود بالقتل والفتك بالجماهير العزل التي صمدت بشجاعة منقطعة النظير، وواجهت الرصاص، والبنادق والمدافع.. بالحجارة والشعارات العديدة المعادية للنظام والمطالبة بالعيش الكريم. ولم تمض عشرة دقائق على بداية رمي الشعب بالرصاص حتى ملئت الشوارع بالقتلى، وكذلك الجرحى الذين حمل بعضهم الى المنازل ونقل البعض الاخر الى مستشفى مليلية

للعلاج، وبصفة خاصة شارع يوسف بن تاشفين وشارع طنجة...

ولقد اكتست المظاهرة، رغم كل هذا، طابع الحماس العظيم بمشاركة كل الفئات الشعبية بما فيها التجار الصغار والحرفيين، وخاصة النساء اللواتي خرجن حاملات الاعلام وهن يزغردن في الشوارع، الشيء الذى زاد من شراسة قوات القمع التي لم تتردد في مواجهة النساء بالبنادق والرصاص، مما ترتب عنه العديد من القتلى في صفوفهن. أما النساء اللواتي لم تخرج من بيوتهن، فلقد كانت ترش المتظاهرين بالملح والسكر وترفع شعارات التأييد والتشجيع...

وهنا سأقف لاصف منظرا رهيبا لام مغربية تم اغتيال ولديها الوحيدين أمام أعينها. لقد صب الولدان ماء ساخنا على الجنود الذين كانوا يفتكون بالشعب، ولما خمدت المظاهرة شيئا ما، رجع الجنود وكسروا باب المنزل وقتلوا الولدين رميا بالرصاص. ولما أخذت الام تبكي ولديها وتشتم الجنود، رموها بالرصاص هي الاخرى... وهكذا استشهدت عائلة بأكملها لا لشيء الا لانها طالبت بالخبز والسكر وبحقها في الحرية والحياة.

أما العائلة الاخرى، فهي التي تسكن أمام ثانوية الكسرى بالناضور، حيث كان أحد الابناء يطل من النافذة، فرموه بالرصاص، وأسقطوه الى الارض ميتا. وخرجت الام لتبكي ولدها وتغطيه بغطاء، لكن الوحوش المفترسة رموها بالرصاص كذلك...

وهذه مجرد أمثلة، وشبيهاتها عديدة جدا، بحيث يشعر أى فرد يوجد في مدينة الناضور أثناء الاحداث أنه يعيش فترة استعمار وحش..

وفي هذا الوقت، أى وقت انطلاق انتفاضة الناضور، انطلقت انتفاضات في العديد من القرى المجاورة مثل أزغنغان، والعروى، وبني الطار، وفرخانة، وأركمان سلوان التي ووجهت بالدبابات والبنادق وخلفت مئات القتلى والجرحى.

ولقد صاحبت هذه الاحداث حملة من الاعتقالات منقطعة النظير قامت بها مجموعة البوليس والجمارك والقوات المساعدة، مصحوبين بالمقدم أو الشيخ، وكانوا يداهمون البيوت اما على الساعة الواحدة أو الخامسة صباحا، مسلحين ببنادقهم، فيدخلونها بعد تكسير أبوابها، ويفتشونها تفتيشا دقيقا، ثم يأخذون أصحابها، بدون السماح لهم حتى بارتداء ثيابهم، ويحشر مئات المعتقلين في أماكن ضيقة لا تسع حتى لعشرة أشخاص، ولا تتوفر فيها أدنى شروط الصحة. وبعد أن مليء سجن المدينة وكل الكوميساريات، سيق المعتقلون الى ساحة الملعب البلدى، حيث الحراسة المشددة فوق جدران الملعب من طرف الجنود المسلحين. ولاحاجة هنا للحديث عن تجويع المعتقلين وتعذيبهم والتنكيل بهم ومنع عائلاتهم

حتى من السؤال عنهم، فذلك أصبح من "العرف" المتداول في طريقة الاعتقال التعسفي ببلادنا...

أما الجرحى الذين نقلوا الى "المستشفى الحسني"، فلقد وضعت عليهم حراسة مشددة، ومنعت زيارتهم، واذا ما تم "علاجهم" الاولي، نقلوا مباشرة الى مقرات التعذيب ثم الى المحاكمة.

والجدير بالذكر أن أزيد من ٤٥٠ مناضلا قد نقلوا الى السجن المركزى بالقنيطرة قصد محاكمتهم. ويشاع هنا أن المدعو الفاهيمي حسين وهو من يمين الاتحاد وأنصار بوعبيد هو الذى حرض البوليس على اعتقال مناضلي الاتحاد الاشتراكي التقدميين المناهضين لبوعبيد، مدعيا أنهم نظموا المظاهرة والاضراب. ولقد اعتقل من بينهم فعلا العشرات والعشرات...

وكنتيجة للتعذيب القاسي الذى يتعرض له المعتقلون، فلقد استشهد البعض منهم داخل المعتقلات، كالمناضلين الاتحاديين: سعدان من فرخانة، والمناضل لكبير محمد الذى يبلغ من العمر ٦٥ سنة، وكذلك وفاة ستة مناضلين آخرين داخل المعتقل في اليوم الثاني من الانتفاضة.

أما بالنسبة لضحايا الانتفاضة نفسها، فيعدون بالمئات. ولقد قامت قوات القمع بدفنهم بشكل شبه سرى في مقابر جماعية وذلك يوم ٢١ يناير، حيث تم دفن ٣٢ قتيلا في خندق بالمنطقة العسكرية بتاويمة الغربية على بعد ١٥ كلم من الناضور. كما تم دفن ٤٥ مواطنا نقلوا من المستشفى بالناضور بعد استشهادهم، بنفس المنطقة العسكرية.

هكذا، بالقتل والتشريد والتعذيب والاعتقال تواجه انتفاضة الجماهير العزل التي رفعت صوتها من أجل الحرية والعدالة..."

★